

الميراث والحجاب والتعدد في فكر محمد رشيد رضا الباحثة/ نادية خلف عبد الموجود

ملخص بالعربية:

تحمل هذه الرسالة عنوان {قضايا المرأة في فكر محمد رشيد رضا.. دراسة فكرية تحليلية}، وترجع أهمية هذه الرسالة في أنها تتناول قضايا المرأة في كتاب الله عز وجل وهي: القوامة، الميراث، تعدد الزوجات، الحجاب، الشهادة؛ بما تمثل التيار السلفي الوسطي عند المفكر محمد رشيد رضا كأنموذج لهذا التيار الإسلامي السلفي المجدد؛ الذي يمثل أسلوبه في دراسة قضايا المرأة المنهج الإسلامي المنفتح على مستجدات الثقافة الإسلامية المعاصرة دون المساس بثوابت الشرع، مع المحافظة على الطابع الإسلامي في الجمع بين النقل والعقل.

فقد اشتمل على الحديث عن الإطار لعام لنهج رشيد رضا الفكري ومنهجه في دراسة قضايا المرأة؛ بينت فيه الباحثة معالم منهجه الفكري والإصلاحي بصفة عامة، ومنهجه في دراسة قضايا المرأة بصفة خاصة.

ثم بدأت تحدث عن القوامة ، ذُكر فيه معالم فلسفة القوامة القرآنية وأثرها في استقرار الأسرة، مع بيان المفهوم الاجتماعي الخاطيء للقوامة وعلاقتها بمشكلة أو قضية {ضرب الزوجة}، ثم تطرق إلى دراسة هذه القضية عند بعض المفكرين المعاصرين، مع توضيح أهم العوامل الفكرية والظروف الاجتماعية التي أثرت في تأويلهم لمثل هذه القضايا.

ثم {ميراث المرأة} ناقش فلسفة الميراث في الإسلام وبيّن ما فيها من تكريم للمرأة، وأن الظلم والتعسف الذي لحق بالمرأة كان جراء تداخل العادات والتقاليد الموروثة بأحكام الدين، مع إعطاء للتأويل الحداثي لهذه القضية.

كما تطرقت للحديث عن تعدد الزوجات {الزواج بأخرى}؛ تم فيه ذكر تاريخية تعدد الزوجات من بدايته عند بعض الأمم؛ تأكيداً على أنه كان موجوداً من ذي قبل، وصولاً إلى الإسلام وكيف أنه يريد تأسيس نظرية أخلاقية لصيانة المسلم، ولتكافل المجتمع الإسلامي بإيجاد حلول عملية تتفق وإيجابية الإسلام.

ثم ناقشت الرسالة {حجاب المرأة} بالإضافة إلى الحديث عن المؤثرات الاجتماعية التي أثرت في حجاب المرأة، منها الخلط المفاهيمي بين معنى الحجاب والاحتجاب وهو خلط مفاهيمي متوارث من المجتمع القديم، مع بعض المؤثرات الثقافية الأخرى الوافدة على المجتمع الإسلامي مما شكلاً معاً مفهوماً آخراً للحجاب؛ أبعدَ به عن معنى الحجاب الإسلامي للمرأة.

وأخيراً تناول شهادة المرأة كدراسة للإسلام في المفارقة بين العقل والعاطفة، وما يتبعهما من توزيع الأدوار بين قيادة ومسئولية الرجل؛ وتقدير المرأة بدخولها تحت هذه القيادة بما يناسب طبيعتها ودورها الذي خلقت من أجله، وليس الانتقاص من قدرها كما يعتقد البعض.

وأخيراً خاتمة الرسالة؛ فقد اشتملت على بعض النتائج التي توصلت لها الدراسة ومنها: أن للمرأة مكانة كبيرة جداً في الإسلام؛ قائمة على التكريم والتشريف لها؛ لم تحظ بمثلتها نساء الديانات الأخرى على الإطلاق.

Abstract:

this thesis bears the title (women 's Issues in the thought of **Muhammad Rashid rida** .. an intellectual and analytical study). The importance of this thesis that it deals with women's issues in the book of god almighty, namely: guardianship, inheritance What represent the moderate salafi trend of the thinker Muhammad Rashid rida as amodle for this renewed salafi Islamic urrent;

His method , in studying women's issues, represents the Islamic culture without combining transmission and reason.

it consist of introduction, a preface , and six chapter

the preface included terminology of the study, the life of Muhammad Rashid rida and scientific implication.

As for the first chapter, it included two appendices that dealt with talking about the general framework of Rashid rida's intellectual approach and his approach to studying women's issues, in which the researcher clarified the features of his intellectual and reformist approach in general, and his approach to studying women's issues in particular.

The second chapter, he spoke about sovereignty (stewardship), which consists of five section's, in which he mentioned the features of the quranic guardianship philosophy and its impact on the stability family, with an explanation of the wrong social concept of guardianship and its relationship and its relationship to the phenomenon of wife beating,

مقدمة: تعد المرأة مثار جدل وحديث الفلاسفة على مر العصور والتاريخ بدايةً من الفلسفة اليونانية وحديث سقراط وأفلاطون وأرسطو وتصوراتهم عن المرأة حتى عصرنا الحالي؛ ففي الفلسفة اليونانية كانوا ينظرون إلى المرأة نظرة أساسها أن المرأة منبع كل شر. ولما جاءت تعاليم السيد المسيح - عليه السلام - كان من أهم التعاليم التي أتى بها في رسالته إلى البشرية؛ هو إعلاؤه من قيمة المرأة. وبعد عصر السيد -المسيح- عليه السلام تراجعت مكانة المرأة مرة أخرى بعدما دخل على المسيحية التحريف، وتأثرهم بما جاء في اليهودية عن المرأة .

وفي الإسلام الخاتم الذي كرم الإنسانية جمعاء_ - ولا سيما- المرأة أيما تكريم لا يوجد له مثل في الديانات السماوية السابقة؛ رفع عنها الذل وحفظ لها حقوقها كاملة- لكن - البعض اتخذ من الأحكام التي لم تتساو فيها المرأة مع الرجل ، على أنها أداة تمييز للرجل ونقص للمرأة. والمفكرون في نظرتهن للمرأة ينقسموا إلى ثلاث: ١-فريق ذو نزعة ماضوية اتصف بالجمود والمغالاة، وهم أغلب المفسرين القدامى ٢- وفريق ثانٍ يتصف بالتححرر؛ وهم أتباع الحداثة الغربية وفلسفة التنوير. ٣- وفريق ثالث هم أتباع الفكر السلفي؛ الذين ينتهجون نهج السلف الصالح في فهم الكتاب والسنة. منهم في الفكر الإصلاحى محمد رشيد رضا، وهو موضوع هذه الدراسة.

التمهيد: عصر وحياة محمد رشيد رضا

أولاً: عصر محمد رشيد رضا:

أ- الحالة السياسية:

عاش رشيد رضا في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر ، والسنوات الأولى من القرن العشرين الميلادي؛ حيث كان العالم الإسلامي يُعاني من ضعفٍ وانحطاطٍ^١، وهو العصر التالي لعصر ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وازداد سوءاً على سوءٍ، حينما حدثت فيه أحداث عظام أثرت في تاريخ الشرق والعرب؛ بل وتعتبر سنوات هذا العصر بهذه الأحداث من أشد سنوات الأمة العربية قسوة على النفس والمصير^(٢)

ب- الحالة الدينية:

وقد وُجدت في بلاد الشام وغيرها أنواع من مظاهر الانحراف الديني من حيث انتشار البدع والخرافات بين الناس "كبدع البناء عند القبور وتعظيمها، وكذلك تعظيم بعض الجمادات من الأشجار والأحجار التي يعتقد فيها بعض العامة النفع والضرر؛ فيتبركون بها ويعظمونها كما كان للطرق الصوفية انتشار واسع في بلاد الشام ومصر بكل أنواعها المختلفة، وكان لها أثر في تضليل العامة عن الدين الصحيح؛ "لأن بعض من هذه البدع يقومون بها صنف من علماء الدين وهذا يعطيها-أي البدع- سمة القبول لدى عوام الناس ويتمسكون بها كشعيرة دينية"^(٣)

وقد وُجد في العالم الإسلامي آنذاك تيارات إصلاح لهذا الانحراف الديني بكافة أنواعه السابقة، وكان من الشخصيات التي برزت في هذا المجال شخصية رشيد رضا التي حثت الناس إلى التخلي عن التوسل بأصحاب القبور، "والدعوة إلى الإصلاح الديني بإصلاح التربية والتعليم، ودعوة علماء الأزهر إلى مقاومة البدع والمنكرات وتلقي عليهم تبعة ضعف الأمة وضياع أمرها

ثانياً: حياة محمد رشيد رضا:

ولد رشيد رضا في ٢٧ جمادي ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م في قرية (القلمون) على شاطئ البحر المتوسط من جبل لبنان التي تبعد عن مدينة طرابلس الشام زهاء ثلاثة أميال.

١ إبراهيم الحوي: رشيد رضا الإمام المجاهد، المؤسسة المصرية العامة، (د.ط)، عام ٢٠٠١م، ص ٣١

(٢) محمد بن عبد الله السلمان: رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مكتبة المعلاء الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، ص ١٢٠

(٣) السلمان: رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص ١٣٢

ورشيد رضا منذ صغره شديد الحياء منصرف عن اللهو، وكان يوصف بالذكاء النادر منذ صغره ؛ لذلك كان
يضجر من طريقة الأساتذة في إعادة شرح المواضيع التي كانوا قد وضحوها من قبل، إلا أنه

كان ضعيفاً لحفظ الجزيئات كالأعلام والأرقام ويعزو سبب ذلك إلى حبه للعلوم (١)
آثاره العلمية والأدبية:

- تفسير المنار

- حقوق النساء في لإسلام وحظها من الإصلاح الحمدي

الحياة الزوجية

- محاورات المصلح والمقلد

- المنار والأزهر (٢)

وفاته: توفي رشيد رضا ٢٣ جمادى الأولى سنة ١٣٥٤هـ ، ٢٢ أغسطس ١٩٥٣م، أثناء عودته بعد خروجه لوداع الأمير سعود بن عبد العزيز في السويس، وأثناء عودته بالسيارة وقبل وصوله مصر الجديدة فاضت روحه الطاهرة وانتقل إلى جوار ربه، ودفن في "المجاورين" بالقرب من الأستاذ الإمام، وكان آخر ما فسرته من القرآن قوله تعالى في سورة يوسف: "أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين" " يوسف / ١٠١" (١)

(١) صلاح الدين المنجد: فتاوى محمد رشيد رضا، (د.ط.)، (د.ت.)، ج ١، ص ١٠

(٢) أحمد الشرباصي: عصره حياته مصادر ثقافته، (د.ط.)، ١٩٧٠م، ص ١٦٠

(١) خالد آل حمدي بن فوزي: رشيد رضا وإصلاح دعوة وداعية، ص ٤٥

الفصل الأول: الميراث وشخصية المرأة

المبحث الأول: ميراث المرأة قبل الإسلام

المطلب الأول: ميراث المرأة في العهد القديم

كانت المرأة في العهد القديم على مكانة يرثي لها؛ فهي بمثابة الخادم في بيت زوجها ومن قبله في بيت أبيها؛ ليس لها أية حقوق على الرغم من أن عليها الكثير من الواجبات والمتطلبات التي يجب عليها أن تقوم بها!! وبما أنها خادم فالخادم لا يرث.. هكذا أشار الكتاب المقدس "بأن المرأة ليس لها حق في الميراث؛ بل تعد جزءاً من هذا الميراث تُسلم إلى الورثة كتركة لهم أحقية التصرف فيها أو تملكها. وذلك بخلاف القانون الموسوي (نسبةً إلى موسى) الذي يسمح للبنات أن يرثن إن لم يكن معهن إخوة أو أولاد، وإن كان هناك أولاد تظل الزوجة تحت رحمتهم لا ترث شيئاً"^(٢)

المطلب الثاني: ميراث المرأة في مصر القديمة

وكان نظام الميراث في مصر القديمة قاصراً على زراعة الأرض؛ بمعنى أن يقوم رب الأسرة بزراعة الأرض والانتفاع بها هو وأسرته" وكان للميراث نظام خاص عندهم من حيث المساواة بين الرجل والمرأة في أحقية الميراث مع الفرق في الأنصبة. فكان يُفرض للبنات نصيب أقل من نصيب الأخ الأكبر، وهو يعد بمثابة تنازل رسمي من البنت لأخيها، وذلك تعويضاً له عن مجهوده الذي بذله في قسمة التركة وتوزيعها - ولكنهم - كانوا ينظرون إلى المهر الذي كان

يقدمه لها من يريد الزواج بها على أنه تعويض لها عما تنازلت عنه لأخيها"^(١)

المبحث الثاني: الميراث وشخصية المرأة

تقوم فلسفة الميراث في الإسلام على أسس اقتصادية واجتماعية مهمة: كحق الإنسان في التملك، الروابط الأسرية، صلة الرحم، النسب والمصاهرة. هذه الأسس والدعائم الهدف منها؛ تقوية العلاقات الأسرية بين الأفراد في الأسر والمجتمعات والتي تؤدي بطبيعة الحال إلى وجود ما يعرف بمبدأ الحقوق والواجبات في الإسلام، والتي تعد بمثابة التزامات مادية ومعنوية متبادلة بين الأفراد والمجتمعات.

وقد ساعد على قيام هذه الفلسفة عدد من العوامل أهمها: "هدم وإبطال عوائد الجاهلية المجحفة وما كان عليه من نظام توارث، والتي استمرت حتى بداية الإسلام، وتؤسس

(٢) مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، دار السلام، الطبعة الرابعة، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص ١١٢

(١) عبد المتعال الصعيدي: الميراث في الشريعة الإسلامية، والنشأة الوضعية، ميدان الأزهر، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٣٤م، ص ٩

مجتمع آخر قائمٌ على العدل وإعطاء الحقوق لأصحابها، والنهي عن أكل أموال الفئات المستضعفة كمنع النساء والضعفاء واستكمالاً لهذه الفلسفة وضماناً لها أن تأخذ سمة الزواج والثبات في ذلك المجتمع؛ الذي ما زال به بعض رواسب الجاهلية فقد "اعتمد الإسلام مبدأ التدرج في أحكام الميراث؛ لمراعاة نزوله في بيئة جاهلية اعتادت حرمان المستضعفين من الميراث؛ فبدأ بالتشريع لتلك الفئات كاستئناف ابتدائي لبقية الأحكام"^(٢).

(٢) رشيد رضا : المصدر السابق، ص ٤٠٤

الفصل الثاني: الحجاب

المبحث الأول: الحجاب والتربية الإسلامية

المطلب الأول:

تقوم فلسفة الحجاب في الإسلام على مبدأ من أجل المبادئ التي شرعت من أجلها الديانات السماوية؛ وهو سمو الإنسان بالأخلاق القويمة، وترفعها إلى المكانة التي تليق بإنسانيته ولا ريب أن الإسلام حريص كل الحرص على بقاء النوع الإنساني { الرجل والمرأة} كل في إطار المهمة المنوط بأدائها، بقاء الرجل ضمن معاني الرجولة، وكذلك المرأة حريص على بقائها في إطار كيانها الأنثوي؛ لتؤدي دورها المحدد لها؛ فيتم بذلك التكامل وتطرد سنة الله في الكونية في خلق النوع الإنساني الذي أخبر عنه بقوله الكريم: "ومن كل شيء خلقن زوجين لعلكم تذكرون" الذاريات/ ٤٩

ومن أساسيات الفطرة السليمة أن يسير كل نوع طبقاً للوظيفة التي كلف بها دون تحلل أو خروج، وهي قسمة عادلة قررها الشارع الحكيم لتتاسب الطبيعة التي فطر عليها كلا الجنسين. "والحجاب ضروري للنساء لصلاح النوع الإنساني كله ع العموم وصلاحها هي ع الخصوص لأنه ضمانته استقلالها وكفالة حريتها لا علامة ذلها وعنوان أسرها، فهو لا يمنع كمالها بل يهيئها كما أن له فوائده ومزاياه لا تقدر ومن أظهرها أن يجبر المرأة على عدم تخطي وظيفتها الطبيعية التي فيها كل سعادتها ويوجهها لتنمية خصيبتها السامية التي هي سلاحها الوحيد في هذه الحرب الحيوية"^(١)

وهي فلسفة تربية كما عدّها رشيد رضا غايتها "تربية وإصلاح النفس المؤمنة - رجالاً ونساءً} وتوجهها نحو التحلي ذات الأثر العميق في تهذيب الحس والوجدان"^(٢) وذلك للتأكيد على الرسالة التي جاء بها الإسلام وهي إعادة التوازن إلى الإنسان بعد أن ضل في زحام الحياة الجاهلية وتطهير نفسه من دنس الرذيلة، ومن ثمّ تحفيزه إلى التمسك بمكارم الأخلاق؛ فأقام من الإيمان والحياء حارساً أميناً عليه؛ حتى يقيه مصارع السوء حتى إذا ما فقد إحداهما فقد الآخر.

البعد الديني:

الحياة الإنسانية ذات جوانب متعددة وهي على تعدد أبعادها وجوانبها، ذات جزء يسير من الدين وليس العكس كما يعتقد بعض الناس أن الدين جزء من الحياة ويعد

(١) رشيد رضا: الحجاب، مجلة المنار، مج٤، ص٣١٦

(٢) رشيد رضا : كلمة في الحجاب، مجلة المنار، مج٢، ص٣٧٠

حجاب المرأة مظهر من مظاهر الدين الإسلامي؛ الذي ينتقل بالمرأة من حياة الجهالة إلى حياة الإيمان وليس ذلك فحسب كما أنها يحدد لها طبيعة علاقتها وتعاملها مع الآخر ومكانة كل واحد وحدوده.

البعد الأخلاقي:

الحجاب أدب من آداب الإسلام؛ الذي شرعه الله سبحانه وتعالى؛ ليدحض ما كانت عليه الجاهلية من تبرج النساء، وتحلل في علاقة الرجل والمرأة؛ ليضع حدوداً لكليهما لا ينبغي لأحد منهما أن يتجاوزها. والمدقق لجملة تلك النصوص والآداب الخاصة بالمرأة - وبخاصة- الحجاب لا يخطيء ما فيه من غيرة هذا الدين الإسلامي الحنيف على المرأة المسلمة ومكانتها وكرامتها، وعنايته على أن تحتل المرأة المكانة اللائقة بأنوثتها في هذه الحياة على اعتبار انها ذات رسالة سامية مقدسة، فهي ليست وكراً لملاذ الرجل ومتاعه؛ بل هي قبل كل شيء إنسان أعدت لتربية النشء وتخريج أجيال صالحة قادرة على حمل السيادة والقيادة لهذه الأمة؛ فهي عليها المعول والاعتماد الأول في صلاح أو فساد الأمة.

البعد الحضاري:

يتمثل البعد الحضاري الثقافي لفلسفة حجاب المرأة في الإسلام في أنه يعد سمة وعلامة تميز يعرفن به النساء المسلمات المؤمنات فقد قال تعالى في كتابه العزيز: " ذلك أدنى أن يعرفن" الأحزاب/٥٩، وهذا يعني أن المرأة المسلمة ليست كغيرها من النساء؛ بل تفضلهن بخلقها وسمتها ووقارها " لذلك اختار الله الحجاب سمياً خاصاً بهن؛ ليعلن لكل من يراهن أنهن عفيفات خلوقات فيبتعدوا عن إيذائهن".

والحجاب علامة حضارة ورفي يعكس ما وصلت إليه المرأة من تطور وتحضر، فقديمًا كان الإنسان عارياً فلما تقدّم ستر جسده، فالمرأة متحضرة متقفة بحجابها، أما العري والسفور فهو الرجعية والبدائية؛ لأنه عودة بالإنسان إلى الوراثة.

المبحث الثاني: المفهوم الاجتماعي لحجاب المرأة

المطلب الأول: حجاب المرأة في عرف المجتمع:

اتخذ حجاب المرأة في عرف المجتمع بعداً آخرًا يكاد يبتعد به عن المفهوم الذي ارتضاه الشرع له، من حيث أنه فرض وواجب وتعبد ديني؛ ينبغي على المرأة أن تتمسك به رضا بأحكام الشرع وفرائضه وإرضاءً لله سبحانه وتعالى؛ وإنما ظل داخل منظومة المجتمع ذا مدلولات اجتماعية

متباينة تختلف باختلاف كل مجتمع وعاداته وتقاليده - لكن - تبقى السمة المشتركة والتي لا تخلو منها بعض المجتمعات" هي تلك النظرة الدونية التي يلصقونها بالمرأة والتعامل معها على أنها عورة وأساس كل فتنة ينبغي سترها واحتجابها"^(١)

ولذلك تجد بعض المجتمعات تبالغ في احتجاب النساء في المنازل ومنهجن من مزاولة حقوقهن كالتعليم والعمل .. وغيرهما، "ويعدون ذلك صفة تميزهم ويتفاخرون بها؛ لأنه دليل المحافظة على شرف العائلة وعراقة أصلها وحسبها ونسبها"^(٢).

فتكون العلاقة بين احتجاب المرأة في المنزل وبين الفضائل ومكارم الأخلاق علاقة طردية؛ كلما زاد الاحتجاب وكان مبالغاً فيه كان دليل أصالتها ومحافظةها على العرض والشرف. وهذه العادات القيمة الموروثة لم تختف من المجتمع بعد، فما زالت تمارس في بعض المجتمعات القبلية والريفية "والتي تعد العادات والتقاليد جزء لا يتجزأ منها والتي هي أحد أسباب تأخر المسلمين، وما كان ضعفنا وتأخرنا حتى صرنا وراء الأمم كلها بعد إن كنا في مقدمتها إلا فساد

العادات والمبالغة في احتجاز النساء داخل المنازل"^(١)

ولذلك تجد بعض المجتمعات تبالغ في احتجاب النساء في المنازل ومنهجن من مزاولة حقوقهن كالتعليم والعمل .. وغيرهما، "ويعدون ذلك صفة تميزهم ويتفاخرون بها . هذه المغالاة في تطبيق أحكام الشرع الخاصة بالمرأة إلى الدرجة التي تصل معها تحريم ما أحله الله، أدى إلى نزاع بين الناس حول ما هو حلال وما هو حرام؛ حتى أنهم صاروا ينسبون معتقداتهم الاجتماعية إلى تعاليم الإسلام "حتى وصل بهم الأمر إلى أن يأمر بعضهم المرأة بضرورة تغطية شعرها في بيتها كي لا تراها الملائكة !! مما أفقد الحجاب الكثير من معانيه الأصلية التي أمر بها الدين فألبسوه معنى الحبس والحرمان بدلاً من معاني العفة والحياء"^(٢)

المطلب الثاني: مؤثرات حجاب المرأة:

تلعب ثقافة المجتمع دوراً كبيراً في عمليات التأثير والتأثر بين أفرادها، وبين أبناء المجتمعات الأخرى؛ التي تتم عبر وسائلها ومؤسساتها المختلفة، وخاصةً في عصر التطور والتقدم الهائل، والتي أصبحت فيه المجتمعات أكثر انفتاحاً على بعضها البعض.

(١) رشيد رضا: كلمة في الحجاب، مجلة المنار، مج ٢، ص ٣٧.

(٢) فدى المصري: المرأة والحجاب في المجتمع المعاصر، نقلًا عن الموقع الإلكتروني:

www.m.hewa.org ، بتاريخ: ٢٠١٩/٩/٢٠م

(١) رشيد رضا: احتجاب، مجلة المنار، مج ٤، ص ١٩١

(٢) رقية العلواني: دور المسلمة في التنمية، (دراسة عبر المسار التاريخي)، ص ١٩٩

وحجاب المرأة في ظل المؤثرات الثقافية عادة ما يتم التعامل معه على أنه مجرد غطاء للرأس، لا يتعدى صفة السلوك المفروض على المرأة من جانب الأسرة والبيئة والمجتمع؛ بغض النظر عن مدلوله الشرعي وما يتبعه من ضوابط.

تقليد اللباس العصري:

وهذا الحجاب العصري أفقد الحجاب الشرعي معناه الأساسي الذي هو بغية ستر المرأة وصونها مما قد سبب لها أدنى أذى، وهو شيء يستدعي الأسف أن "يتهتك الحجاب الذي سنه الشرع للمرأة بالتدريج حتى يعود تبذل الجاهلية من جديد فيكون بعيد كل البعيد عن الدين ومذاهبه ويصبح من مكملات الأناقة للمرأة ليس أكثر"^(١) أما ارتدائه كحجاب شرعي حث عليه الشرع للمرأة فهو ليس كذلك عند معظمهم فضلا عن أنه لا تتوفر فيه شروط الحجاب الشرعي؛ وإنما هو غطاء للرأس متبرج لما يتبعه من زينة وتحلل وارتداء الملابس الضيقة وتعطر وغيره وكل ذلك في الحقيقة لهو استدراج ماكر خبيث من جهة أعداء الإسلام للقضاء على الحجاب الشرعي، والنيل من المرأة المسلمة والإسلام هدفهم الأكبر.

ولعل الأسباب والدوافع وراء انتشار مثل هذه الظواهر الاجتماعية كثيرة منها: اختلاف الدوافع من ارتداء الحجاب، ما بين اقتناع، وتردد، وضغط اسري واجتماعي؛ فهناك من تقتنع بفرضية الحجاب - لكنها - في الوقت ذاته تريد أن ترضى ميولها الذاتية من مسابرة اللباس العصري

وسائل الإعلام:

تساهم وسائل الإعلام المتعددة داخل المجتمع بدور كبير في تكوين ثقافة الفرد، وطبيعة فكره وتوجهه نحو قضية من القضايا وهذا يعني أن الدور الأساسي للإعلام هو المشاركة في نقل المعارف والأخبار بين أفراد المجتمع وبعضهم بعض؛ للقيام بدور التوعية الثقافية ونشر الحقائق

حول موضوعات شتى تمس المجتمع - إلا - أنه في الآونة الأخيرة تم استغلال الإعلام كمحاولة لفرض الهيمنة الفكرية من خلال التأثير على أفراد؛ بنشر فكر وثقافة بعينها مثال ذلك ما يفعله الإعلام المضلل الذي يروج الأفكار الهدامة التي تكون أشد فتكا من السلاح؛ لأنها قتل للفكر وظهر ذلك بشكل ملحوظ في استخدام المرأة وأداة غواية عبر التركيز على إظهار مفاتها.

(١) رشيد رضا: كلمة في الحجاب، مجلة المنار، مج ٢، ص ٣٩٦

الفصل الثالث: تعدد الزوجات

المبحث الأول: تاريخية تعدد الزوجات

أولاً: تعدد الزوجات في اليهودية

لم ينشئ الإسلام تعدد الزوجات؛ بل كان معروفاً وموجوداً قبل الإسلام؛ فالثابت تاريخياً أن تعدد الزوجات ظاهرة عرفت البشرية منذ أقدم العصور؛ حيث كان قائماً ومعمولاً به في مختلف الحضارات والشرائع، وكان تعدداً ظالماً ومهيناً لإنسانية المرأة وكرامتها في آن واحد، لا دافع له سوى الشهوة وإرضاء النفس، وامتلاك النساء كغيرها من الممتلكات، وإن تعددت الأسباب والدوافع الأخرى؛ فإن دافع الشهوة وإرضاء النفس هو الدافع المسيطر نحو التعدد وهيئات بين هذه الدوافع ودوافع الإسلام!!

عرفت الديانة اليهودية تعدد الزوجات؛ حيث لم يرد في أسفار العهد القديم ما ينص على عدد محدد للنساء التي يسمح الجمع بينهن، "وهناك من الأنبياء من عددوا زوجاتهم قبل التوراة كما حدث ذلك مع نبي الله إبراهيم ويعقوب عليهما السلام، وهناك من الأنبياء من عددوا زوجاتهم بعد التوراة مثل: داوود، سليمان، موسى عليهم السلام"^(١)

ثانياً: تعدد الزوجات في المسيحية:

عرفت الديانة اليهودية تعدد الزوجات؛ حيث لم يرد في أسفار العهد القديم ما ينص على عدد محدد للنساء التي يسمح الجمع بينهن، "وهناك من الأنبياء من عددوا زوجاتهم قبل التوراة كما حدث ذلك مع نبي الله إبراهيم ويعقوب عليهما السلام، وهناك من الأنبياء من عددوا زوجاتهم بعد التوراة مثل: داوود، سليمان، موسى عليهم السلام"

المبحث الثاني: تعدد الزوجات وإيجابية الإسلام:

شرع الإسلام الزواج ليكون رباطاً شرعياً بين الرجل والمرأة، وذلك لتحقيق غايات دينية وأخلاقية وإنسانية واجتماعية متعددة؛ فضلاً عن الحفاظ على الجنس البشري بالتناسل وكثرة الإنجاب، والإسلام جعل الأصل أن يتزوج الرجل زوجة واحدة، وهذا هو المعروف والمعهود لدى المسلمين منذ ظهور بداية الإسلام - لكن - إذا اقتضت الضرورة بأن يقترن الرجل بزوجة أخرى لعارض ما؛ فلا تقف الشريعة أمام شيء فيه مصلحة للرجل والمرأة؛ لأنها شريعة عادلة ومرنة تتجاوب مع الإنسان واحتياجاته في ظل واقعه الذي يعيشه.

(١) أحمد محمد عبد الوهاب: تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، دار التوفيق النموذجية، ط١، ١٩٨٩م، ص١١٥

إن الشريعة الإسلامية شريعة إيجابية متفاعلة مع الواقع الذي يعيشه الإنسان، ملائمة لفطرته، تراعي تكوينه الإنساني وماله من ضرورات ومتغيرات، جاءت لتلتنطقه من الواقع الذي يعيشه، وتسمو به إلى المكان الذي يليق بأدميته وإنسانيته، فهي شريعة الدين الوسطي السامح؛ الذي لا يعرف الانحراف والتطرف أو المثالية الزائفة " جاءت لتحتوي الإنسان فيكون في عناية الحضرة الإلهية دون أن تنكر ذاته أو انكار لفطرته وسجيته، ودون إغفال لحياته وواقعه المعاش أو تحييه جانباً أو تقصيه أو تهمله؛ بل لتدفعه وتستمر في دفعه في رفق ولين لا في عنف وقسوة وهكذا دوال حتى ترتقي به إلى أن يصل إلى القمة السامقة فيزداد عزة واعتزازاً وخيلاً وافتخاراً فهو خليفة الله في أرضه"^(١)

المبحث الثالث: تعدد الزوجات وسلبية المجتمع

تتأثر قضية تعدد الزوجات أو الزواج بأخرى بثقافة المجتمع سلباً وإيجاباً، لذلك تجدها من القضايا المثيرة للجدل بداخل أوساط المجتمع العربي/ الإسلامي. وهي قضية مثيرة للجدل وترتبط في أذهان الكثير من الناس بعدد من الأفكار والمفاهيم منها فكرتي: القبول والرفض للرجل الذي يتخذ أكثر من زوجة فعلى الرغم من أن التعدد مباح شرعاً حينما يسير وفق الضوابط التي حددها الشرع له - إلا أنه - هناك طائفة تؤيد وأخرى تعارض وثالثة مذبذبة بين هذا وذاك؛ لا تعرف هل تلوم الرجل على هجره لبيته والارتباط بأخرى، أم تلوم الزوجة على تقصيرها واهمالها لزوجها دون النظر إلى السبب الحقيقي إلى زواج الرجل بأخرى وقبول الزوجة أو رفضها، وإنما تكون النظرة بصفة عامة نظرة سطحية للفكرة ذاتها؛ والتي ترجع في الأساس إلى عوامل اجتماعية أهمها عادات وتقاليد المجتمع.

على الرغم من أن الإسلام رخص للرجل الزواج بأخرى لضرورة تقتضي ذلك - إلا أن - ثقافة الوسط الاجتماعي تنظر إلى هذه القضية نظرة أكثر سلبية تبعد بها عما ارتضاه الشرع للإنسان المسلم، وجعل له فيها نافذة من نور لمشكلات قد يكون حلها الأمثل في هذا الزواج الأخر. تلك النظرة السلبية من قبل ثقافة الوسط الاجتماعي لتعدد الزوجات أو الزواج بأخرى؛

جعلت منه اجحافاً وجوراً من الرجل وانتقاصاً وسبة في حق المرأة وتشرداً وضياًعاً للأبناء؛ حتى اصبح من العسير أن تجد امرأة تقبل لزوجها هذا التعدد حتى وإن كانت

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج٤، ص٥٧٩

تدرك مدى أهمية هذا الزواج لزوجها أو سبباً شرعياً له لداعي يستدعي ذلك؛ خشية من أن تلاحقها تلك النظرة من المجتمع، أو أن تلاحقها جملة "امرأة تزوج عليها زوجها.

المؤثرات الثقافية الاجتماعية في مفهوم الزواج بأخرى

إلا أن الحضارة الغربية أبت أن تترك المحاولات أن تسير نحو هدفها المنشودة، فوجهت جهودها تجاه العالم الإسلامي، لتغزو مرة أخرى ويكون تابعاً لها، وليس ثمة وسيلة لتحقيق مخططها أفضل من الغزو الفكري من خلال بعثات التبشير والإرساليات وغيرها من برامج الغرب المقتننة؛ التي ساهمت بطريق أو بآخر في تسرب الفكر الحدائثي إلى الفكر الإسلامي، فضلاً عن هذه المخططات الاستعمارية كانت ترمي إلى غايات أخرى كبرى؛ تتلخص في إعادة تفسير الإسلام تفسيراً يتوافق والحضارة الغربية أو غير معارض لها على الأقل، كسبيل بديل لعداوته ومعارضته لها.

الخاتمة:

ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

- ١- أن التيار السلفي المعتدل المتمثل في شخص رشيد رضا ذو مفاهيم فكرية خاصة؛ قائمة على الحفاظ على نهج السلف في قراءة النص الديني مع اتسامه بمجموعة من السمات أهمها: الأخذ بالأحكام من الكتاب والسنة وما نُقل عن السلف الصالح .
- ٢- أن لرشيد رضا جهود لا تتكر في محاربة الجمود والتقليد، ودعوته إلى لاجتهاد المنفتح الذي يستوعب الحياة بمجالاتها وتطوراتها وتغييراتها المستمرة، وقد خصص لهذه الدعوة مقالات في مجلته المنار، ولا تعرف الباحثة مفكراً في عصره حارب التقليد كرشيد رضا.
- ٣- أن لرشيد رضا منهج فكري وإصلاحي تميز به عن غيره من المفكرين والدعاة والمصلحين في عصره وكل عصر؛ قوامه العلوم النقلية وهدى الشرع من قرآن وسنة ومعرفة الأثر، يستقي منها أينما حل وارتحل؛ فاستطاع أن يجمع بين النقل والعقل ويدلي بحجته في النوازل العصرية.
- ٤- على الرغم من الصلة الوثيقة بين رشيد رضا وأستاذه الإمام محمد عبده -إلا- أنه استقل عنه في منهجه الفكري والإصلاحي وفي التفسير، فهو حالة وسط بين ثورية الأفغاني وانفتاح محمد عبده.
- ٥- تفرد رشيد رضا من بين مفكري عصره بمنهجه الوسطي التجديدي في بحثه لقضايا المرأة في الإسلام؛ الجامع بين مذهب السلف دونما الانغلاق عليهم، وتجديد العصر ومتطلباته، دونما الخروج عن ثوابت الشرع.

ثبت بالمصادر والمراجع:

مصادر البحث:

رضا، محمد رشيد:

تفسير المنار، دار المنار، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٤٩م
 الخلافة، مؤسسة هنداوي للتعليم والنشر، القاهرة، (د.ط.)، (د.ت.)
 حقوق النساء في الإسلام، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٤م
 الحياة الزوجية، (د.ط.)، (د.ت.).

المصادر والمراجع العربية:

أبو زيد، نصر حامد

دوائر الخوف {قراءة في خطاب المرأة}، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٤م

السباعي، مصطفى:

المرأة بين الفقه والقانون، دار السلام، الطبعة الرابعة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م

شحرور، محمد:

نحو أصول فقهية جديدة، مطبعة الأهالي، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م

شعراوي، هدى:

مذكرات هدى شعراوي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، (د.ط.)، (د.ت.).

الشرباصي، أحمد:

رشيد رضا، صاحب المنار عصره حياته مصادر ثقافته (د.ط.)، ١٩٧٠م

الصابوني، محمد علي:

المواريث في الشريعة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة، دار الحديث، الطبعة الأولى، (د، ط)،

(د، ت)

الطهطاوي، رفاعه:

تخليص الإبريز في تلخيص باريز، مؤسسة هنداوي، القاهرة، (د.ط.)، ٢٠١٢م

عاشور، محمد الطاهر:

التحرير والتوير، الجزء الخامس، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م.

عبده، محمد:

تفسير المنار، مطبعة المنار، مصر، ١٣٣٨هـ.

عمارة، محمد:

الإسلام بين التتوير والتزوير، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٨م.

أبو غضة، زكي علي السيد:

المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء، مصر ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

فروخ، عمر:

تاريخ الجاهلية ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٤م